

چکیده:

دکتر محمود شکیب انصاری

معروف الرصافي شاعر معاصر عراق در سال ۱۸۷۴ میلادی در بغداد زاده شد، و در سال ۱۹۴۵ درگذشت .

در مقدمه این مقاله زندگی علمی واجتماعی و ادبی شاعر بطور فشرده بررسی می شود. سپس به ((تعهد)) والتزام وی در برابر اعتقادات دینی اسلام پرداخته می شود، و پس از آن به ((تعهد)) سیاسی وموضعگیریهایی وی در برابر دولت عثمانی واشغالگران انگلیسی وحکومت ملی اشاره می گردد. و سرانجام ((تعهد)) اجتماعی وانسانی شاعر نسبت به مردمش بویژه قشرهای محروم و گرفتار جامعه مطرح می شود. مرجع اصلی این بررسی ها شعر عربی خود الرصافي و آنچه دیگران درباره وی نقل کردند بوده است. شاعر در تمام موضعگیریهایی فکری وسیاسی واجتماعی ((تعهد)) اسلامی وانسانی خود را به اثبات رساند.

وباصراحت و صداقت وشجاعت بی نظیر دیدگاهها خود را بیان می داشت.

کلید واژه: رصافي، تعهد، سیاست، ادبیات، زن.

فی شعر معروف عبد الغنی الرصافی

الشاعر العربی المعاصر

الدكتور محمود شکیب انصاری*

الملخص :

معروف عبد الغنی الرصافی شاعر عربی معاصر، ولد فی بغداد عام ۱۸۷۶ میلادی وتوفی فیها عام ۱۹۴۵ میلادی. درس العلوم العربیة والاسلامیة فی المدارس الدینیة ببغداد.

وكان شاعراً مغلّقاً ، عایش الحیاة الفکریة والاجتماعیة والسیاسیة فكان له دور بارز وفعلال ، فی الساحة الادبیة والثقافیة. وجاء شعره ملتزماً دینياً واجتماعياً وسیاسياً.

هذا المقال سبیح اللزّام الدینی والاجتماعی والسیاسی فی شعر الرصافی مستثیراً بما نظمه الشاعر وما قاله الآخرون عنه.

الكلمات الرئيسية : الرصافی ، اللزّام ، المجتمع ، السیاسة ، المرأة

المقدمة

" نبذة عن حیاة الشاعر "

بدأ الرصافی تعلمه القراءة والكتابة فی کتابتیب بغداد، وتلقی دروسه الابتدائیة

*استاد مشارک ، جامعه الشهیّد چمران ، اهواز

فی مدرسه الرشیدیة ، ثم التحق بمدرسة منيرة خاتون، فتتلمذ علي
الاستاذ محمود شكري الألوسی، والاستاذ عبدالوهاب النائب زهاء عشر
سنوات ، و اشتغل بالتعليم ، فدرس فی مدرسة الاعداد العسکری ، فی
عهد الوالی العثماني نامق باشا ، حتي أعلن الدستور عام ۱۹۰۸، فرحل
الرصافی الي الاستانه وعین معلماً للعربیة فی المدرسة الملكية هناك.
وانتخب نائباً عن مدينة المتفک بجنوب العراق للحضور فی مجلس
المبعوثان العثماني ، وفي عام ۱۹۱۸ انتقل الي الشام ، فعین استاذاً للادب
العربی فی دارالمعلمين بالقدس، فأقام فترة هناك ، عاد بعد ذلك الي بغداد
، وعین نائباً لرئيس لجنة الترجمة والتعريب، وفي عام ۱۹۲۳ اصدر جريدة
الامل اليومية ، ثم عين مفتشاً فی وزارة المعارف العراقية، فمدرساً للغة
العربیة وأدابها بدار المعلمين العالیة ببغداد. ثم صار رئيساً ومشرفاً علي
لجنة الاصلاحات العلمیة . واستقال الرصافی سنة ۱۹۲۸ من تلك المناصب
، وانتخب عضواً فی مجلس النواب خمس مرات خلال ثمانية اعوام.^۱
كتب عنه الدليل العراقي الصادر عام ۱۹۶۰: كان الرصافی اسبق شعراء
العراق تأثيراً بما جدّ من افكار، واقدرهم علي تمثيلها ، يتلوه الزهاوی
والشيبی ... والرصافی تميز بسعة فی المفردات، وإلهام بالاساليب العربیة،
وتمرس بها جميعاً، يلین كما يلین ابو العتاهیة ويقوي كما يقوي المتنبي،
ويصفو صفاء البحتري، ويغرب أحياناً اغراب المعری^۲ .
وتحدث عنه روفائیل بطی قائلاً: "هو اول شاعر جاء قومہ العرب بما
يحبون، و صارهم بما لايجبون، لم يعرف للتقليد او الخضوع للبيئة معني"،

لافي صناعته، ولافي افكاره. كانت في شعره صيحات عملت علي تقويض معالم الاستبداد"^٢.

آثار الرصافي العلمية والادبية:

المجموعة الكاملة لشعره (الديوان) ، وقد طبع مراراً في بيروت والقاهرة وبغداد .

دروس في تاريخ آداب اللغة العربية - طبع بغداد ، عام ١٩٢٨ ميلادي.

الادب الرفيع في ميزان الشعرو قوافيه - طبع بغداد، عام ١٩٥٦ ميلادي.

دفع المراق في لغة العامة من اهل العراق، نشر قسم منه في مجلة لغة العرب بين سنة ٢٦-١٩٢٨ ميلادي المجلد الرابع والخامس والسادس.

كتاب دفع اللهجة، طبع القسطنطينية، سنة ١٩١٢.

رواية الرؤيا ترجمها عن نامق كمال الكاتب التركي، طبع بغداد، ١٩٠٩.

رسائل التعليقات ، طبع بغداد، عام ١٩٤٤، والكتاب نقد لكتاب النثر الفني و

كتاب التصوف الاسلامي، وكلاهما من تأليف الدكتور زكي مبارك.

علي باب سجن ابي العلاء المعري، طبع بغداد، عام ١٩٤٦ ميلادي.

محاضرات في الادب العربي، طبع بغداد ، عام ١٩٢٠ ميلادي.

مجموعة الاناشيد المدرسيّة ، طبع بغداد ، عام ١٩٢٠ ميلادي.

نظرة اجمالية في حياة المتنبي، طبع بغداد، عام ١٩٥٩ ميلادي.

نفع الطيب في الخطابة والخطيب، طبع بغداد عام ١٩٢٣ ميلادي.

في عالم الذباب، رد علي كتاب بهذا العنوان، طبع بغداد عام ١٩٤٤ ميلادي.

تمائم التربية والتعليم، طبع في بغداد عام ١٩٤٨ ميلادي.

جريدة الامل ، صدرت في بغداد عام ١٩٢٣ ميلادي.

شعر وآراء ابي العلاء المعري، (مخطوط).

خواطر ونوادير، (مخطوط).

الالة والاداء، (مخطوط).

الشخصية المحمدية، (مخطوط).

الرسالة العراقية، (مخطوط).^٤

الالتزام الديني في شعر الرصافي:

كما ذكرنا آنفاً ان الرصافي كان قد استقي معالم ثقافته واصول تفكيره من العلوم الدينية التي درسها في الكتاب والمدارس الدينية الاخرى، ولدي علماء بارزين في زمانه. علاوة علي ذلك فانه كان يجيد اللغة التركية ويطالع الكتب المترجمة الي هذه اللغة، مثلما كان يقرأ المجلات العربية الصادرة آنذاك. ومع انه كان قد تأثر ببعض الآراء والنظريات الغربية الحديثة، الا انه كان ملتزماً جداً بالمبادي الإسلامية، علي يقين راسخ بجدوي العقيدة الدينية فسي صنع الحضارة واقامة العدل والقسط في المجتمع. فهذه قصيدته ((يقولون في الاسلام)) يرد فيها علي ادعاءات اعداء الاسلام، والمغرر بهم من المسلمين انه هم من أن الدين الاسلامي كان سبباً في تخلف المسلمين عن ركب الحضارة والمدنية، مستدلاً بازدهار الحضارة وتقدم العلوم والاداب خلال العصور الماضية، عندما كان يحكم الحياة، وكيف أن الاسلام قد احدث انقلاباً عظيماً في حياة العرب، ونقلهم من حياة بدوية جاهلية الي حياة اخري متحضرة ومتقدمة .

يقول الرصافي:

يقولون في الاسلام ظلماً بانسه
 فان كان ذا حقاً فكيف تقدمت
 وان كان ذنباً المسلم اليوم جهلة
 هل العلم في الاسلام الافريضة
 لقد ايقظ الاسلام للمجد والعلوي
 وجلت له الايام عند قيامه
 فاشرق نور العلم من حجراته
 ودك حصون الجاهلية بالهدي
 وما ترك الاسلام للسمرة ميزة
 فليس لمثر نقصة حق معدم
 ولا فخر للانسان الا بسعيه

يصدأ ذويه عن طريق التقدم
 أوائله في عهدهما المتقدم
 فماذا علي الاسلام من جهل مسلم
 وهل امة سادت بغير التعلم
 بصائر اقوام عن المجد نوم
 حباها وأبدت منظراً المتبسم
 علي وجه عصر بالجهالة مظلم
 وفوض اطناب الضلال المخيم
 علي مثله من لادم يتتيمي
 ولالعربي بخسة فضل أعجمي
 ولا فضل الا بالتقي والتكرم

وهكذا نلاحظ أن القصيدة تشبه مقالاً ((يبحث فيه كاتبه قضية عصرية)) مهمة من قضايا المسلمين اليوم، وهي شبهة مخالفة الاسلام للعلم والتطور الصناعي والاقتصادي في المجتمع، فيرد علي هذه الشبهة بأدلة تاريخية وعقلية دامغة، فالاسلام هو الذي رفع راية العلم والتعليم قروناً عديدة، فازدهر العلم وتطورت الحياة الاجتماعية والاقتصادية في ظلال مبادئه وعقائده التقدمية السامية.

وفي قصيدة أشدها بمناسبة ذكرى ميلاد الرسول الكريم محمد (ص)، يبين خلالها اهداف الرسالة المحمدية الراقية. ويتطرق خلالها الي الحالة المؤسفة التي يعيشها المسلمون اليوم من تخلف وتأخر في جميع المجالات السياسية والاجتماعية، العلمية والثقافية فيقول:

وَضُحُّ الْحَقِّ وَاسْتِقَامُ السَّبِيلِ
 قَامَ يَدْعُو إِلَى الْهُدَى بِكِتَابٍ
 طَالِباً مِنَ الْمَجْدِ غَايَةً قَصْوِي
 أَطْلَقَ النَّاسَ مِنْ تَقَالِيدِ جَهْلِ
 وَشَفَاهِمِ بَهْدِيهِ مِنْ ضَلَالٍ
 أَنْهَضَ الْقَوْمَ لِلْعِلَاءِ وَكَانَتْ
 تِلْكَ فِي الدِّينِ نَهْضَةٌ هِيَ لِلْعَقْدِ...
 نَهْضَةٌ عَالَمِيَّةٌ فِي وَغَاهَا
 غَيْرَ أَنَا عَنْ نَهْجِهَا الْيَوْمَ حَدْنَا
 حَيْثُ عَدْنَا وَفِي النَّهْوِضِ قَعُودٌ
 وَاخْتَلَفْنَا فِي الدِّينِ حَتَّى افْتَرَقْنَا
 حَالَةً سَاءَتْ الرَّسُولَ وَسَاءَتْ
 لَوْ رَأَى وَالشَّرُّ فِينَا كَثِيرٌ
 وَتَغَوَّرَ الضَّلَالِ مَبْتَسِمَاتٌ
 وَنَقُولُ التَّوْحِيدَ قَوْلًا وَكَلِمًا
 قَالِ مُسْتَنْكَرًا لِمَا نَحْنُ فِيهِ
 أَيْنَ دِينَ التَّوْحِيدِ مِنْكُمْ، وَأَيْنَ الـ

بعظيم هو النبي الرسول
 عربي قرآنه ترتيل
 صدّه عن بلوغها مستحيل
 كل فرد منهم بها معلول
 كل فرد منهم بها معلول
 في دني القوم رقدة وحمول
 ..ل انتباه وللهدى تأثيل
 من امام البعير فر الفيل
 واستحلنا وكل حال تحول
 ورجعنا وفي الصعود نزول
 فرقا لا يسيغها السمعقول
 كل آي بها اتانا الرسول
 مستفيض والخير نزر قليلا
 ووجوه الهدي عليها محول
 هو للشرك عابداً وفعول
 ما بهذا قد جاءني جبريل
 أوب وحده والقول

فالرصافي يري ان سبب تأخر المسلمين وتخلفهم عن ركب الحضارة هو
 الحود والبعد عن الاسلام الحنيف، وهذا قد أدى الي القعود بدلاً من
 النهوض، والي النزول بدلاً من الصعود. والي الفرقة والتشتت والخصام بدلاً

من الوحدة والاعتصام بحبل الله والوثام ويستنكر الرصافي هذه الحالة علي
لسان الرسول الكريم (ص) معلناً:
((ما بهذا قد جاءني جبريل)).

الالتزام السياسي في شعر الرصافي:

عاش الرصافي ثلاثة عهود سياسية، هي العهد العثماني، عهد الاحتلال،
ثم العهد الملكي، وخلال هذه العهود الثلاثة التزم الرصافي في شعره ونثره
وخطاباته المبادئ الاسلامية التي تدافع عن كرامة الانسان وتكافح الظلم
والتعدي، وتدعو الي العدل والخير والسلام، فجاء بأدب اسلامي انساني
فريد، قارع فيه ظلم الولاة العثمانيين وتعدي الانتداب البريطاني، وجور
الحكام الوطنيين، ودافع خلاله عن الشعب المغلوب الي امره، داعياً اياه
الثورة، والتمرد علي غاصبي حقوقه المشروعة.

ففي عهد السلطان عبد الحميد تردت الاوضاع في دولة الخلافة العثمانية
لعوامل سياسة واقتصادية، داخلية وخارجية، فأخذ الرصافي يهاجم الاستبداد
وسياسة التعسف التي انتهجها الولاة، ويهيب بأبناء الامة ان يتيقضوا، ويعوا
ماهم فيه، ومالحقهم من ظلم وعذاب، حاملاً لواء الدعوة التحررية، جاهراً
بأعلي صوته بالثورة ضد الظلم والطغيان، متعجلاً الايام لخلاص البلاد من
ريقه الذل والاستعباد، علي أيدي ابنائها الغياري يقول الرصافي في قصيدته
عنوانها ((تنبية النيام)):

ويذهب عن هذي النيام هجودها

أما أن أن يغشي البلاد سعودها

فينجاب عنها ركينها وجمودها

متي يتأتي في القلوب انتباهها

فقد عاث فيها بالمظالم سيدها

أما أسد يحمي البلاد عضنفر

برنتُ الي الاحرار من شرُّ أمةٍ
سقي الله أرضاً امحلتُ من أمانها
جري الجورَ منها في بلادٍ وسيعه
عجبت لقومٍ يخضعون لدولةٍ
وأعجبَ من ذا أنَّهُم يرهبونها
بني وطني مالي أراكم صبرتم
أما أدكم الهوانِ فأنه

اسيره حكام ثقال قيودها
وقد كان رواد الأمان ترودها
فضاقت علي الاحرار ذرعاً حدودها
يسو سهم بالموبقات عميدها
واموالها منهم ومنهم جنودها
علي نوب أعياء الحصاة عديدها
إذا حملته الراسيات يؤدها^٧

وفي قصائد اخري ((يهاجم الرصافي السلطان العثماني جهاراً، ويسخر منه سخريه مريه تطفح بالمرارة والألم، وتضح بالاسي والأنين، وهذا الضرب الثائر الصريح من الشعر السياسي الذي عبر فيه الرصافي عن سخطه وثورته ضد الطغيان ، وهو بحق كان بداية لانطلاق الشعر الوطني السياسي الذي اتسع ونمي مع اوائل القرن العشرين)).^٨

يقول الرصافي في قصيده عنوانها، ((ايقاظ الرقود)):

سكننا من جها لتنا بقاعا
فكدنا أن نموت بها ارتياعا
يجور بها المؤمن ما استطاعا
وهبنا أمة هلكت ضياعا
تولّي امرها عبد الحميد
أقول وليس بعض القول جدا
لسلطان تجير واستبدا
ألا يا ايها الملك المفدي
تعدي في الامور وما استعدادا

وَمَنْ لَوْلَاهُ لَمْ نَكْ فِي الْوُجُودِ

أَنَّمْ عَنِ ان تَسْوَسِ الْمَلِكِ طَرْفَا أَقِمُّ مَا تَشْتَهِي زَمْرًا وَعِزْفَا
أَطْلُ نَكَرِ الرَّعِيَّةِ خَلًّا عَرَفَا سَمَّ الْبَلَدِ أَنْ مَهْمَا شَتَّتَ خَسْفَا

وَأَرْسَلْ مَا تَشَاءُ إِلَيَّ اللَّحُودِ

فَدَتِكِ النَّاسِ مِنْ مَلِكٍ مَطَاعٍ أَيْنُ مَا شَتَّتَ مِنْ طَرَقِ ابْتِدَاعٍ
وَلَا تَخْشَ الْآلَةَ وَلَا تَسْرِعِ فَهَلْ هَذَا الْبِلَادِ سَوِي ضِيَاعٍ

مَلَكْتُ أَوْ الْعِبَادِ سَوِي عَيْدِ

تَنْعِيمٍ فِي قِصُورِكَ غَيْرِ دَارٍ أَعَاشِ النَّاسِ أَمْ هَمٌّ فِي بَوَارِ
فَأَنْكَ لَنْ تَطَالَبُ بِاعْتِزَالِ وَهَبْ إِنْ الْمَمَالِكِ فِي دِمَارِ

أَلَيْسَ بِنَاءُ ((يَلْدَز)) بِالْمَشِيدِ^٩

وظهرت جميعه الاتحاد والترقي داعية الي الاصلاح والحكومة الدستورية في البلاد العثمانية فانضم الرصافي الي هذه الحركة ليساهم في اصلاح الامور واطلاق الحريات الاساسية في المجتمع ، وذلك في اطار الخلافة العثمانية، وتنجح الحركة الدستورية في اعلان الدستور عام ١٩٠٨، ويستبشر العرب،ومن بينهم الشاعر، لكن الامر لم يدم طويلا، حتي اصيب الجميع بخيبة أمل مريرة، إذ أخذت الحكومة الجديدة التي تسترت وراءها الحركة الماسونية والصهيونية العالمية وبعض القوي الكبرى باتباع سياسة عنصرية اساسها تترك جميع الشعوب التابعة للدولة العثمانية، وترجم الناس علي عهد عبد الحميد، والرصافي الشاعر الذي ناضل وجاهد جنبا الي جنب مع رجال الاتحاد والترقي،

فقد ملَّ مماطلة الاتراك بتحسين الاوضاع العربية والعراق خاصة، فأخذ يشكو ويتألم لما حل بالواضع نكسات^١، ويقول في قصيده ((شكوي الي الدستور)):

شكاية قبل بالآسي نابض العرق الي قائم الدستور والعدل والحق
ملوك علي كل ثلاثة لها الحكم دون الناس في الفتق والرتق
فهل أيها الدستور تسمع شاكياً بك اليوم يرجو أن يري نهضة الشرق^{١١}

وتشتعل نيران الحرب العالمية الاولي عام ١٩١٤، وتزحف جيوش الحلفاء لتقسيم ممتلكات ((الرجل المريض))، ويكون العراق من حصه بريطانيا العظمي، وتدخل القوات البريطانية بغداد، فيقف الرصافي من هذه الاوضاع موقف المعارض والمستنكر للأحتلال، وينادي العرب بقصيده ((الوطن والجهاد)) فيقول:

يا قوم إن العدا قد هاجموا الوطناً فانضوا الصوارم واحموا الامل والسكنا
واستنفروا لعدو الله كل فتى ميم نأي في اقاصي ارضكم ودنا
واستنكفوا في الوغي أن تلبسوا أبداً عار الهزيمة حتي تلبسوا الكفنا
ان لم تموتوا كراماً في مواطنكم مَمَّ أذلاء فيها ميتة الجينا
لاعذر للمسلمين اليوم إن وهنوا في هوشه ذل فيها كل من وهنا^{١٢}

وبعد سنوات ثار الشعب العراقي ضد الاحتلال وقامت ثورة العشرين عام ١٩٢٠ مما اضطر المحتلون الي تشكيل حكومة وطنية سورية. ولم يخف علي الشاعر المحنك أن هذه الحكومة لم تكن سوي واجه كاذبه للوطنية تدرع بها المستعمر المحتل لأخفاء مطامعه و مطامحه، فعير عن رأيه في قصيده يقول فيها:

هذي حكومتنا وكل شموخها كذب وكل صنيعها متكلف
عُشَّتْ مظاهرها ومؤه وجهها فجميع ما فيها بها رج زيف
وجهان فيه باطن متستر للاجنبي وظاهر متكشف

والباطن المستور فيه تحكُّمٌ
علمٌ ودستورٌ ومجلسٌ أمه
اسماءٌ ليس لنا سوي الفاظها
من يقرأ الدستور يعلم أنه
من ينظر العلم المرفرف يُلَقِّه
من يأت مجلسنا يصدق أنه
من يأت مطرّد الوزارة يلفها
بالله يا وزراءنا ما بسالككم
وكأن واحدكم لفرط غروره
أفتنعون من الحكومه باسمها
هذي كراسي الوزارة تحتكم
أنتم عليها والاجانب فوقكم
أبعداً فخراً للوزير جلوسه
الشعب في جزع فلا تستبعدوا

والظاهر المشكوف فيه تصلّف
كلُّ عن المعني الصحيح محرف
أما معانيها فليست تعرف
وفقاً لصك الانتداب مصنّف
فى غير بني البلاد يرفرف
لمراد غير النا خيين مؤلف
بقيود أهمل الاستشارة ترسف
إن نحن جادلناكم لم تنصفوا
ثمّل تميلُ بجانبه القرقف
ويفوتكم فى الأمر أن تصرفوا
كادت لفرط حيائها تنصف
كلّ بسلطته عليكم مشرف
فرحاً علي الكرسي وهو مكتف
يوماً ثور بها الجيوش وترحف^{١٣}

وهكذا نلاحظ أن الرصافي الشاعر الثائر والملتزم فى هذه القصيدة وكأنه يسرد مقالاً سياسياً ينقد فيه نظام الحكم، ويبين من خلاله تبعية الحكام والوزراء للأسياد، وينتهى بتهديدهم بأن للظلم من نهاية، وأن الشعب المظلوم لايد أن يثور فينتقم من ظالميه وغاصبي حقوقه. لقد تميز الشاعر بشجاعته الاديبة، وصراحته التى جرت له الويلات و المصائب، فعاش اخريات حياته فى فقر مدقع، ومات فى غرفة - كما يقول الجواهرى الذى زاره قبيل وفاته- جرداء ، نعم ((فى تلك

الغرفة الجرداء التي لانساها ابداء، وكأنما انا فيها الان وكان الرصافي - وهو ذاك امامي، علي سرير من السرر الرخصية لولا أن الرصافي هو الذي كان ينام عليه ، وكأن هو الآن وقد أحس بي وأنا أدب علي اطراف اصابعي لئلا أوقظه، وكانت الحيرة هي في أين أجلس ؟ اذ ليس في الغرفة ليس كرسي او خشبة، او حتي حجر للجلوس، وكأنها هي في هذه الساعة لاغيرها ... قد انقضي عصر الرصافي في هذه الغرفة الجرداء، ولم يسدل عليه ستار، فأنا احلف صادقاً ، وكان الجو مشمساً، والضوء يؤذي عيون الرصافي، كان علي درجة من الحرارة لايطيقها مريضٌ مثقل، أحلف صادقاً أنه لم يكن في غرفة صاحب هذا الجيل أي ستار))^{١٤}

الالتزام الاجتماعي الانساني:

كانت الاوضاع الاجتماعية في العراق زمن الرصافي سيئة للغاية، وكان لسوء الادارة دور بارز في تردى تلك الاوضاع، سواء في العهد العثماني عندما كان العراق ولاية عثمانية تباع وتشتري في الاستانه أو في عهد الاحتلال البريطاني وقيام الحكم الملكي، فقد كان الجهل يخيم علي السواد الاعظم من ابناء الشعب ، والمرض منتشراً ، يحصد الناس حصداً ، والفقر والفاقة فقد تفتت وشملت اكثر قطاعات المجتمع ، والنظام الاقطاعي قد تسلط علي رقاب اكبر طبقة اجتماعية هي طبقة الفلاحين والمزارعين، الي جانب الاعراف الاجتماعية الخاطئة الي زادت الطين بله والشعب بؤساً وشقاءً.

والرصافي الشاعر الذي عرف بركة احساسه، وعلو انسانيته، وكبر رأفته وعطوفته، لم يألّف السكوت ازاء كل هذه المظالم والفجائع، ولم يقف مكتوف الايدي أمام كل ذلك الجور والتعسف، فكانت له مواقف انسانية نبيلة، فعن اهمية

الايدي العاملة، ودورها البناء خلق الثروة والأنتاج : وما لحق هذه الشريحة الاجتماعية من ظلم واجحاف يقول في قصيدته ((الي العمال)):

كل ما فى البلاد من امـوال	ليس الا نتيجـة الأعمال
ان يطب فى حياتنا الاجتماعية	عيش فالفضل للعمال
واذا كان فى البلاد ثـراء	فبفضل الانتاج والابدال
نحن خلق المقدرات وفيها	لا حياة للعاطل المكسال
عندنا اليوم فى الحياة نظام	قد حوي كل باطل ومحال
حيث يسعي الفقير سعىً أجير	لغنى مستأثر بالغالل
اكثر الناس يكدهون لقوم	قعدوا فى قصورهم والعلالي
واحد فى النعيم يلهو وألفاً	فى شقاء وبؤس واعتلال
فيالي كم نشقي وحتاماً نبقي	هكذا فى عمايه وضلال ^{١٥}

ولم ينس الرصافى طبقة الفلاحين الذين كانوا أشبه بالرقيق لدى السادة الاقطاعيين الذين فوضتهم السلطات الحاكمة الاستيلاء علي كل ارض خصبة فى البلاد، فيلعن الرصافى فى رأيه بتلك الاوضاع قائلاً:

أري كل ذى فقر لدي كل ذى غني	اجيراً له مستخدماً فى عقاره
ولم يعطه الا اليسير وإنما	علي كده قامت صروح يساره
ويلبس من تذليله العز ضافياً	وينظره شزراً بعين احتقاره ^{١٦}

والرصافى آمن بالعدالة والمساواة وتكافؤ الفرص بين ابناء الشعب الواحد داعياً الي أن يكون هذا البلد وما فيه فى خدمة أبنائه. لكنه وجد أن العقبة الكئود التي تحول دون ذلك هي الاستغلال الذي فرضته القوي الحاكمة ، وجعلته حقاً تتمتع

به علي حساب شقاء الاخرين وحرمانهم، ويظهر موقف الرصافي من تلك الاوضاع جلياً في قصيدته ((آل السلطنة))، يقول الرصافي:

هم يعدون بالمئات ذكورا	واناثاً لهم قصور مشاله
ولهم أعبد وأماء	ونعيم ورفعة وجلاله
تركوا السعي والتكسب في الدنيا	وعاشوا علي الرعية عاله
يتجلى النعيم فيهم فتبكي	أغين السعي من نعيم البطاله
يأكلون اللبات من كد قوم	أغوزتهم سخينه من نخاله
فكان الأنعام يشقون كداً	كي تنال النعيم تلك السلاله
تلك والله حاله يقشعر الحق	منها وتشمئز العداله ^{١٧}

ولم يكتف الرصافي بنقد السلطات الحاكمة في بغداد والآستانه ومهاجمتهم، بل أنه اهتم أيضاً بالدعوة الي التعلّم ونشر المعرفة بين ابناء الشعب، قدحفل ديوانه بالقصائد الطوال التي تدعو الي نشر العلم ومحو الامية، واضعاً العلم فوق كل اعتبار، فهو النبض الحي الذي يدفع بالامة نحو التقدم والرقى والحياء الكريمة، من هذه القصائد: قصيده ((في المهد العلمي)) و ((في المدرسه))، و((المدارس ونهجها))، و((الاجازة في العلم)) ((الحمد للمعلم)) و((الي المتعلم))، ((ودار تربية الطفل)) وغيرها كثير، يدل علي مدي اهتمام هذا الشاعر، العالم والأديب بقضايا العلم والتعليم، ففي قصيده ((المدارس ونهجها)) يقول الرصافي:

إبنوا المدارس واستقصوا بها الأملا	حتي نطاول في بنيانها زحلا
جودوا عليها بما درت مكاسبكم	وقابلوا باحتقار كل من بسخلا
إن كان للجهل في احوالنا علل	فالعلم كالطب يشفي تلکم العلال
سيروا الي العلم فيها كل غايتكم	بل علموا النشأ علماً ينتج العملا

هذي مدارسكم شروي مزارعكم
 لا تتركوا الشوك ينمو في منابتها
 فأنبتوا في ثراها ما علا وغلا
 أعنى بذلكم الاهواء والنحلا^{١٨}
 ويقول في قصيده ((في المعهد العلمي)):

يقولون لي استنهض الي العلم قومنا
 اما علموا أن الحياة بعصرنا
 بشعر معانيه تقيم وتعد
 مدارس في كل البلاد تشيد
 وما ينفع القول الذي انت قائل
 فيا قومنا إن العلوم تجددت
 فان كنتم تهوونها فتجدوا
 وخلصوا جمود العقل في أمر دينكم
 فان جمود العقل للدين مفسد^{١٩}

وهكذا نرى أن الرصافي كان ملتزماً ومجدداً في آن واحد، ملتزماً بقضايا الدين و العقيدة والشريعة السمحاء، وداعياً الي التجديد في قضايا التعليم والحياة الاجتماعية و السياسية والاقتصادية، وتغيير الاوضاع السيئة التي لم تكن ترضيها المبادئ الإسلامية، ولم يقبل بها أي انسان ذو شعور وذو كرامة انسانية.

وكان الرصافي بشعوره المرهف يتحسّن آلام الفقراء والمعدمين، فلا يترك منظراً مؤثراً لمنكود الارسمة بريشة القريحة شعراً حزيناً، يقطر دمعاً ودماً، ويبعث الشجا والأسى في النفس وقصيدته ((الأرملة المرضعة)) نموذج فريد بين قصائده الاجتماعية، يقول الرصافي في وصف تلك الارملة البائسة:

لقيتها ليتنى ما كنت ألقاها
 ثوابها رثة والرجل حافية
 تمشي وقد أثقل الاملاق ممشاها
 والدمع تذرفه في الخد عيناها

بكت من الفقر فاحمرت مدامعها
 مات الذى كان يحميها ويسعدھا
 الموت افجعها والفقر اوجعها
 فنظر الحزن مشهود بنظرها
 كر الجديدين قد أبلى عباءتها
 ومزق الدهر ويل الدهر مئزرها
 تمشي بأطمارها والبرد يلسعها
 حتى غدا جسمها بالبرد مرتجعاً
 تمشي وتحمل باليسري وليدتها
 قد قمطتها بأهدام ممزقه
 ما أنس لا أنس إني كنت اسمعها
 تقول يا رب لا تترك بلا لُبْن

وأصفر كالورس من جوع محياها
 فالدهر من بعده بالفقر أشقاها
 والم انحلها والغم أضناها
 سالبوس مرآة مقرون ميرآها
 فانشق أسفلها وانشق اعلاها
 حتى بدا من شقوق الثوب جنبها
 كأنه عقرب شالت زباناها
 كالغصن فى الريح واصطكت ثناياها
 حملاً على الصدر مدعوماً بيمينها
 فى العين منشرها سمج ومطواها
 تشكو الي ربها أوصاب دنياها
 هذى الرضيعه وارحمنى واياها^٢

وقصائد الرصافى الاجتماعيه كثيره، يجلو فيه الشاعر تلك الصورة الكئيبه للفقراء و البائسين الذين عاش معهم وأحسن بعسرهم وشقائهم عن قرب، ولم يقف العنصر الانسانى فى شعر الرصافى عند أرامل المسلمين وايتامهم بل ذهب يشارك يتامي المسيحيين وأراملهم ماكانوا يعانونه من عذاب وهو ان نتيجة لسوء الحياه الاجتماعيه انذاك ، ففى قصيده ((ام اليتيم)) التى بلغت أبياتها سته وخمسين بيتاً ويقول فيها:

رمت مسمعى ليلاً بأنة مؤلـم
 وباتت توالى فى الظلام أئينها
 فألقت فؤادى بين أنياب ضيغم
 وبت لها مرمي بنهشه أرقم

فيهفو بقلبي صوتها مثلما هفت
 ولقد جثمت فوق التراب وحولها
 تراه وما أن جاوز الخمس عمره
 بكى حولها جوعاً فغذته بالبكا
 واكبر ما يدعو القلوب الي الأسى
 وقفت وقد شاهدت ذلك منهما
 بقلب فقير القوم رنة درهم
 صغير لها يرنو بعيني ميتهم
 يدبر لحاظ اليافع المتفهم
 وليس البكا إلا تعله معدم
 بكاء يتيم جائع حول أيهم
 لمريم أبكى رحمة وابن مريم^{٢١}

مثلما تجاوز الرصافي بمشاعره الانسانية قطرة بل بلاده العربية الإسلامية، فهو
 يهتم بقضايا عالمية مثل الحرب التي شنت علي سنغافورة واليابان ففي قصيدته
 ((يوم سنغافورة)) يهاجم الرصافي المعتمدين الذين شنوا حرباً شعواء علي هذا
 البلد وما جاوره من جزر وبلاد يقول:

أطلوا الحرب طاحنة زبونا
 وقد زحفت لهم فيها جيوش
 لقد خربوا البلاد ودوخوها
 ولم ترد الشعوب لها اتقادا
 أولاك هم الجناء بها علينا
 اذا ذكر الوري جشعاً وحرصا
 فعدوا بالشهور لها السنينا
 تجاوزت الالوف مع المئينا
 وجنوا في تناحرهم جنونا
 فأوقد نارها المترسونا
 أولاك هم البغاة الطامعوننا
 فشرشل اكبر المتجشعيننا
 يزورفي اطالتها الميوننا
 حياًداً فأعجب المتكذبيننا

بسنغافورة اليابان شبَّوا
 وبحر الهند أصبح في اضطراب
 أيفتح بابه يكون حــــرا
 ويمسى الهند عندئذ طليقا
 فبشري للبلاد إذن وبشــــري
 فسوف تكفَّ عنهن الليالي
 علي أعدائهم حرباً طحونا
 يَرَجُّمُ في عواقبه الظنونا
 لمن يزجي بلجته السفينا
 من الأثر الذي قطع الوتينا
 لمصرٌ وللعراق بما هويننا
 مطامع ساسه متحكمننا^{٢٢}

وهكذا فقد التزم الشاعر بقضايا شعبه الدينية والسياسية والاجتماعية، وكان إنسانياً في فكره وشعوره وقد اتسع قلبه الرؤوف ليشمل العرب وغير العرب، المسلمين والمسيحيين، العراق وبلاد العرب، وما وراء ذلك، وكان صادقاً في احساسه وعواطفه، صادقاً مع أبناء جلدته، صادقاً مع أبناء بلده ومع الانسانية جمعاء.

الهوامش

- ١- الزركلي، خير الدين ، الاعلام، ج ٨، بيروت ط ١، لبنان ، ١٩٢٤ ص ١٨٤.
- ٢- وزارة الاعلام ، الدليل العراقي لعام ١٩٦٠ - بغداد ، ص ٥٥٤، والفاخوري - حنا، الجامع في تاريخ الادب العربي / ط ١ / دار الجيل ، بيروت ١٩٨٦ ص ٤٨٦
- ٣- الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، ج ٨ ، بيروت ، ط ١ ، لبنان ، ١٩٢٤ ، ص ١٨٥.
- ٤- الدسوقي ، عمر ، في الادب الحديث، ج ٢ ط ٧ ، دار الكتاب العربي، لبنان ، ١٩٦٦ ، ص ٢٤٨.
- ٥- نقلنا اسماء الكتب المطبوعة عن الدليل العراقي، وزارة الاعلام، بغداد، عام ١٩٦٠ والكتب المخطوطة عن كتاب مقالات عن الجواهرى وآخرين، للدكتور داود سلوم، الهيئة المصرية للنشر، القاهرة ، ط ١، ١٩٧٣، ص ١١٨.
- ٦- الرصافي، معروف عبد الغنى ، الديوان (المجموعة الكاملة) ، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٧، ص ١٢٨.
- ٧- المصدر السابق، ص ١٧٦.
- ٨- المصدر السابق، ص ١٠٣.
- ٩- الوائلي، ابراهيم ، الشعر السياسى العراقي، مطبعة النهضة ط ٢، بغداد ١٩٧٠، ص ٢٩٩.
- ١٠- الرصافي، الديوان ، ص ١١٦
- ١١- لجنة من اساتذة جامعة بغداد، التاريخ الحديث، مطبعة وزارة المعارف، بغداد، ١٩٦٠، ص ١١٣.
- ١٢- الرصافي، الديوان ، ص ٣٩٧.
- ١٣- الرصافي، الديوان ، ص ٤٨٩.
- ١٤- الرصافي، الديوان، ص ٤٦١.
- ١٥- سلوم، داود، مقالات عن الجواهرى وآخرين الهيئة المصرية للنشر ، القاهرة ، ط ١، ١٩٧٣، ص ٨٩.
- ١٦- الرصافي، الديوان ، ص ١٧٨.
- ١٧- الرصافي، الديوان ، ص ٣٧.

- ١٨- الرصافي، الديوان ، ص ٤٠٨.
 ١٩- الرصافي، الديوان، ص ٨٧
 ٢٠- الرصافي، الديوان، ص ٧٤.
 ٢١- الرصافي، الديوان ص ٢٠٦
 ٢٢- ضيف ، شوقي، دراسات في الشعر العربي، طبعة القاهرة، مصر، ص ٥٨.
 ٢٣- الرصافي الديوان، ص ٤٧١.

المصادر والمراجع :

- ١- الدسوقي، عمر، في الادب الحديث، ج٢ ، ط٧، دار الكتاب العربي، لبنان، ١٩٦٦.
 ٢- الرصافي، معروف عبد الغنى ، الديوان (المجموعة الكاملة) ، مكتبة الحياة، بيروت ، ١٩٥٧.
 ٣- الزركلي، خيرالدين، الاعلام، ج ٨، بيروت، ط ١، لبنان ١٩٢٤.
 ٤- سلوم، داود ، مقالات عن الجواهري وآخرين ، الهيئة المصرية للنشر، القاهرة، ط ١ ، ١٩٧٣.
 ٥- ضيف، شوق، دراسات في الشعر العربي ، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩.
 ٦- فاخوري، حنا، الجامع في تاريخ الادب العربي، ط ١، دار الجيل ، بيروت، ١٩٨٦.
 ٧- لجنة من اساتذة جامعة بغداد ، التاريخ الحديث، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٠.
 ٨- الوائلي، ابراهيم ، الشعر السياسي العراقي، مطبعة النهضة ، بغداد ، ط ٢، ١٩٧٠.
 ٩- وزارة الاعلام ، الدليل العراقي ، بغداد ، ١٩٦٠.